

# شواهد المفارقة اللغوية

في الشعر العربي القديم



## في العصر الجاهلي

كثيرة هي شواهد المفارقة اللغوية في شعرنا العربي القديم ، ومعلوم أنها كانت تأتي عفوا من قائلها دون قصد منه أو تعمد ، شأنها شأن طبيعة الشعر الجاهلي الذي كان يتسم بالفطرة والتلقائية ، ومن هذه النماذج :

جاء في معلقه عمرو بن كلثوم قوله :

أبا هند فلا تعجل علينا	وأنظرنا نخـبرك اليقينـا
تَهْدِنَا وَتُوَعِدُنَا رُؤُودَا	مَتَى كُنَّا لِأَمِكْ مَقْـتُونِنَا
فَإِنَّ قَنَاتِنَا يَا عَمْرُو أُعْزِيتْ	عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا
بأنا نورد الرايات بيضا	ونصدرهن حمرا قد روينا
وقد علم القائل من معدد	إذا قـبب بأبطحها بنينا
نـا المطعمون إذا قدرنا	وأنا المهلكون إذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أرينا	وأنا النازلون بحيث شـينا
وأنا التاركون إذا سـخطنا	وأنا الآخذون إذا رضينا
وأنا العاصمون إذا أطعنا	وأنا العازمون إذا عُصينا
ونشرب إن وردنا الماء صفوا	ويشرب غيرنا كـرا وطـينا

ويقول :

إذا بلغ الفطام لنا صبي      تخـر له الجبابر ساجدينـا

انظر إلى ما انتهجه الشاعر من مفارقة في هذه الأبيات ، تجدها مفارقة لفظية ملحوظة في المقابلة بين كل شطر وآخر ، فضلا عن المفارقة اللغوية في المعنى إذ ينفي من خلال أسلوب التقابل خنوع قومه ورضاهم بالذلة والاستكانة ، ليثبت

أنهم سادة شرفاء ذوو أنفة وكبرياء ، وانظر إلى المفارقة غير المتوقعة في البيت الأخير التي يثبت فيها قوة قومه وتوارثهم السيادة جيلاً بعد جيل ، حتى الصبي حين يبلغ الفطام تخزله الجبابر ساجدين ، ومع ما في هذا القول من مبالغة إلا أن المفارقة اللغوية الكامنة في المبالغة مقبولة ومحققة ما أراد الشاعر .

## في العصر العباسي

### في شعر المتنبي

عِدَّةً بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتُ يَا عِدُّ  
بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرِ فَيْدِكَ تَجْدِيدُ  
أَمَّا الْأَحْيَاءُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمْ  
فَلَيْتَ دُونَكَ بِيَدًا دُونَهَا بِيَدٍ  
يَا مَالِيَّيْ أَحْمَرٌ فِي كُؤُوسِكُمْ  
أَمْ فِي كُؤُوسِكُمْ كَمَا هُمْ وَتَسْهِيذُ؟  
أَصْخْرَةَ أَنَا، مَا لِي لَا تُحْرَكُنِي  
هَذِي الْمُدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ  
إِذَا أَرْتِ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً  
وَجَدْتُهَا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَقُودُ  
مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهُ  
أَنِّي بِمَا أَنَا شَاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ  
لَوْلَا الْعُلَى لَمْ تَجِبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا  
وَجَاءَ حَرْقٌ وَلَا جَرْدَاءُ قَيْدُودُ  
وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْفِي مُعَانِقَةً  
أَشْبَاهَ رَوْتِقِهِ الْغِيْدُ الْأَمَالِيدُ  
لَمْ يَتْرِكِ الذَّمُّ مِنْ قَلْبِي وَلَا كِبْدِي  
شَيْئًا تُنْتِمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدُ  
أَمْسَيْتُ أَرْوَاحَ مَثَرٍ خَازِنًا وَيَدًا  
أَنَا الْغَنِيُّ وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ

إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَابِينَ، ضَلُّوا بِمَنِّهِمْ  
 عَنِ الْقُرَىٰ وَعَنِ التَّرْحَالِ مَخْدُودُ  
 جُودِ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودِهِمْ  
 مِنَ اللِّسَانِ، فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ  
 مَا يَقْبِضُ الْمَوْتَ نَفْسًا مِنْ نَفْسِهِمْ  
 إِلَّا وَقِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُدُ  
 أَكَلَمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ  
 أَوْ خَانَهُ قَلْبُهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ  
 صَارَ الْخَصِيَّ إِمَامَ الْأَيْقِينَ بِهَا  
 فَالْحُرُّ مُسْتَعَبَّدٌ وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ  
 نَادَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ تُغَالِبِهَا  
 فَقَدْ بَشُرْنَا وَمَا تَقْنَى الْعَقَائِدُ  
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرِّ صَالِحٍ بَاخُ  
 لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْخُرِّ مَوْكُودُ  
 لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ  
 إِنَّ الْعَبْدَ لِأَنْجَاسٍ مَنَاقِيدُ  
 مَا كُنْتُ أَحْسَبُ بِي أَحْيَا إِلَى زَمَنِ  
 يُسِيءُ بِي فِيهِ عَبْدٌ وَهُوَ مَحْمُودُ  
 وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا  
 وَأَنْ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ  
 وَأَنْ ذَا الْأَسْوَدِ الْمُتَّقُوبِ مَشْفُودُ  
 تُطَيِّغُهُ ذِي الْعَضَاءِ رِيطُ الرَّعَادِ

جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيَمْسِكُنِي  
 لَكَيْ يَقَالَ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ  
 وَيَلْمَعُهَا خُطَّةً وَيَلْمُ قَابِلَهَا  
 لِمِثْلِهَا خَلَقَ الْمُهْرِيَّةُ الْقُودُ  
 وَعِنْدَهَا لَذَّ طَعْمِ الْمَوْتِ شَارِبُهُ  
 إِنْ الْمَنِيَّةُ عِنْدَ الذَّلِّ قَنْدِيدُ  
 مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرَمَةً  
 أَقْوَمُهُ الْبَيْضُ أَمْ أَبَاؤُهُ الصَّبِيدُ  
 أَمْ أَنْتَهُ فِي يَدِ النَّخَاسِ دَامِيَّةُ  
 أَمْ قَنْزُودٌ وَهُوَ بِالْفَلَسْتِينِ مَرْنُودُ  
 أَوْلَى اللَّتَامِ كُؤَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ  
 فِي كُلِّ لَوْحٍ، وَبَعْضُ الْعَذْرِ تَفْنِيدُ  
 وَذَلِكَ أَنْ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةٌ  
 عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْنِيَّةُ السَّوْدُ؟  
 في هذا النص تبدو المفارقة اللغوية في عدة أمور :

في مقدمة النص إذ يبين الشاعر أن :

- ما في الكؤوس ليس خمرا إنما هو وهم وتسهيد.
- الشاعر لا تحربه الأعراب ولا الأغنياء لأنه قلق محزون كئيب النفس غير فارغ البال .
- وأن الشاعر كلما تمنى شيئا بعيد المنال صعب التحقق وجده في حين افتقاده حبيب القلب .

وتبدو المفارقة اللغوية في الصروف الصعبة التي وقع فيها إذ يسيء له كافور  
وهو عبد وما كان في ظننه واعتقاده ان يحيا إلى هذا الزمن العجيب .

ويقول :

مَلُومٌ كَمَا يَجِئُ عَنِ تَمَلُّمِ  
وَوَقَعَ فَعَالِيَهُ فَا سَوْقَ الْكَلَامِ  
ذَرَانِي وَالْفَلَاةُ بِبَلَا دَلِيلِ  
وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِبَلَا لُثَامِ  
فَلَيْتِي أَسْتَرِيحُ بِذَا وَهَذَا  
وَأَتَعَبُّ بِالإِنَاخَةِ وَالْمُقَامِ  
غِيُونَ رَوَاحِلِي إِنْ خُرْتُ عَيْنِي  
وَكُلُّ بُغَامِ رَازِيَةٍ بُغَامِي  
عِنْدَ أَرْدِ الْمِيَاهِ بِغَيْرِ هَادِي  
سِوَى عَدِي لَهَا بَرْقُ الْغَمَامِ  
يُذَمُّ لِمَهْجَتِي رَبِّي وَسَيْفِي  
إِذَا إِحْتِجَاجُ الْوَحِيدِ إِلَى الذَّمَامِ  
وَلَا أَمْسِي لِأَهْلِ الْبُخْلِ ضَيِّفَا  
وَأَسِ قَرِي سِوَى مُخِ النَّعَامِ  
قَلَّمَا صَارَ وَدُّ النَّاسِ حَيْفَا  
جَزَيْتُ عَلَى إِبْتِسَامِ بِإِبْتِسَامِ  
وَصَبْرْتُ أَشْكَ فَيَمِّنُ أَصْطَفِيهِ  
لِعِلْمِي أَنَّهُ نَعَضُ الْأَنَامِ

يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَيَّ التَّصَافِي  
وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَيَّ الْوَسَامِ  
وَأَنْفُ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي  
إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنْ الْكِرَامِ  
أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِيهَا جَمِيعًا  
عَلَيَّ الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّيْثَامِ  
وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ  
بِأَنَّ أَعَزَى إِلَيَّ جَدِّي هُمَامِ  
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ  
وَيَنْبِي وَتَبَوُّةُ الْقَضِيمِ الْكُهَامِ  
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي  
فَلَا يَذُرُّ الْمَطْيِيَّ بِإِلَّا سَنَامِ  
وَلَمْ أَرْ فِي غُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا  
كَتَنْقِصِ الْقَادِرِينَ عَلَيَّ التَّمَامِ  
أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلَا وَرَائِي  
تَخُوبُ بِيَّ الْمَطْيِيُّ وَلَا أَمَامِي  
وَمَلْنِي الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنْبِي  
يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامِ  
قَلِيلٌ عَائِدِي سَقِيمٌ فُؤَادِي  
كَثِيرٌ حَاسِدِي صَنْعَبٌ مَرَامِي  
عَلِيلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ  
شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ

وَزَانِرَتِي كَانَ بِهَا حَيَاءٌ  
 فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظُّلَامِ  
 بَدَلْتُ لَهَا المَطَارِفَ وَالحَشَايَا  
 فَعَافَتِيَا وَيَأْتِيَتْ فِي عِظَامِي  
 يَضِيقُ الجَاذُ عَنِ نَفْسِي وَغَنَهَا  
 فَتَوَسَّعَتْ بِأنْوَاعِ السِّقَامِ  
 إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَّ لَتَنِي  
 كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ  
 كَانَ الصُّبْحُ يَطْرُدُهُمَا فَتَجْرِي  
 مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةِ سِقَامِ  
 أُرَاقِبُ وَقَتَّهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقِ  
 مُرَاقِبَةِ المَشْـوِوقِ المُسْتَهَامِ  
 وَيَصْدُقُ وَعَظْمَا وَالصِّدْقُ شَرٌّ  
 إِذَا أَلْقَاكَ فِي الكُرْبِ العِظَامِ  
 أَيْتَ الذَّمِّ عِنْدِي كُلُّ بَيْتِ  
 فَكَيْفَ وَصَلَتْ أَنْتِ مِنَ الزَّحَامِ؟  
 جَرَحْتَ مُجْرَحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ  
 مَكَانٌ لِللسِّـيُوفِ وَلَا السِّـيَاهِ  
 فَرَبَّمَا شَفَيْتُ غَايِلَ صَدْرِي  
 بِسِّـيْرِ أَوْ قَتْلَاةٍ أَوْ حُسَامِ  
 وَقَارَقَسْتُ الحَبِيبَ بِبِلَا وَدَاعِ  
 وَوَدَّعْتُ البِلَادَ بِبِلَا سَلَامِ

يَقُولُ لِي الطَّيِّبُ أَكَلْتَ شَيْئًا  
وَدَاوُكَ فِي شَرِّ ابْنِكَ وَالطَّعَامِ  
وَمَا فِي طَيْبِهِ أَنِّي جَوَادٌ  
أَضْرَبُ بِجِسْمِهِ طَوْلَ الْجِمَامِ  
تَعَوَّذْ أَنْ يُغَيِّرَ فِي السَّرَايَا  
وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَامِ فِي قَتَامِ  
فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ قَيْرَعِي  
وَلَا مُوَفِي الْعَلِيْقِ وَلَا الْجِمَامِ  
فَإِنْ أَمْرَضَ فَمَا مَرِضَ إِصْطِيَارِي  
وَإِنْ أَحْمَمَ فَمَا خُمَّ إِعْتِزَامِي  
وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَتَكِينِ  
سَلِمْتُ مِنَ الْجِمَامِ إِلَى الْجِمَامِ  
تَمْتَعْ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادِ  
وَلَا تَأْمُلْ كَرِي تَحْتِ الرَّجَامِ  
فَإِنَّ لِنَالِئِ الْحَالِيْنَ مَعْنَى  
سَبْوَى مَعْنَى إِنْتِيَاهِكِ وَالْمَنَامِ

وفي ثناها هذا النصُّ نكمن اطفاً رفح اللغويُّ في :

إظهار الشاعر أن راحته في حياة الصحراء وما فيها من هجير ومشقة  
وهي أيضا في السفر والارتحال والانتقال من مكان لآخر، وأن الراحة والاسترخاء  
نُضِرَ بِجِسْمِهِ :

ذُرَانِي وَالْقَلَاةُ بِـلَا ذَلِيلِ  
وَوَجْهِي وَالْهَجِيرُ بِـلَا لِثَامِ

فإني أستريح بهذا وهذا  
 وأتغيب بالإناخة والمقام  
 ثم انظر إلى المفارقة اللغوية في حوارهِ مع الحمى التي ألت بجسمه وصارت  
 تنتابه كل يوم عندما يحل الظلام ، وكيف أنه ينظر بعينها من غير شوق :  
 أَرَأَيْبُ وَقْتَهُمَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ  
 مُرَاقِبَةُ الْمَشْـوَقِ الْمُسْتَهَامِ  
 وَيَصْدُقُ وَعَدُّهَا وَالصِّدْقُ شَرٌّ  
 إِذَا الْقَسَاكُ فِي الْكُرْبِ الْعِظَامِ  
 وتأتي المفارقة في الجزء الأخير من النص والذي يبين فيه المتنبي أن الطبيب  
 يظن سبب مرضه من طعام أكله ، وهو لا يعلم أن سبب مرضه ما هو فيه من دعة  
 وراحة ، في قوله :

يَقُولُ لِي الطَّبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئًا  
 وَدَاوُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ  
 وَمَا فِي طَبِيبِهِ أَنِّي جَوَادٌ  
 لَضُرِّ بِجِسْمِهِ طَوْلُ الْجِمَامِ  
 تَعْوَدُ أَنْ يُعْبَرَ فِي السَّرَايَا  
 وَيَدْخُلُ مِنْ قَتَامِ فِي قَتَامِ  
 فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ قَبْرِي  
 وَلَا تُؤَوِّفِي الْعَلِيقَ وَلَا اللَّجَامِ  
 فَإِنْ لَمَرَضَ فَمَا مَرِضٌ إِصْطِيَارِي  
 وَإِنْ أَحْمَمَ فَمَا حُمٌّ إِعْتِرَامِي

وإن أسلم فما أبقي وتكن  
سَلِمْتُ مِنَ الْجَمَامِ إِلَى الْجَمَامِ  
تَمَّتْ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ  
وَلَا تَأْمُلْ كَرَى تَحْتَ الرَّجَامِ

### في شعر أبي تراب الحميداني

بقول:

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر  
أما للهوى نهى عليك ولا أمر؟  
بلى أنا مشتاق وعندى لوعة  
لكين مني لا يذاع له سر  
إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى  
وأذلت دمعاً من خلائقه الكبر  
تكاد تضيء النار بين جوانحي  
إذا بي أذكتها الصبابة والفكر  
معلتني بالوصل والموت دونه  
إذا مت ظمأنا قلنا نزل القطر  
بدوت وأهلي حاضرون لأنني  
أرى دار السمت من أهلها قفر  
وحاربت قومي في هوائك وإنهم  
وإيائي لولا حبك الماء والخمر  
فإن كان كما قال الوشاة ولم يكن  
فقد يهدم الإيمان ما شيد الكفر

وفيت وفي بعض الوفاء مئة  
لأنسة في الحي شيمتها الغدر  
وقور وربعان الصبا يستنقزها  
فتأرن أحياناً كما يأرن المهر  
تسألني من أنت وهي عليمه  
وهل بفتى مثلي عنى حاله نكر  
فقلت كما شاعت وشاء لها الهوى  
فتياك قالت أيهم فهم كثر  
فقلت لها لو شئت لم تتعنني  
ولم تسألني عنى وعندك بي خبر  
فقلت لقد أزرى بك الدهر بعدنا  
فقلت معاذ الله بل أنت والدهر  
فأيقنت أن لا عز بعدي لعاشق  
وأن يسدي مما علقته به صفر  
وقلت أمري ولا أرى لي راحة  
إذا البين أنساني ألح بي الهجر  
فعدت إلى حكم الزمان وحكمها  
لها الذنب لا تجزى به ولي العذر  
فلا تتكريني يا ابنة العم إنه  
ليعرف من أنكرته البدو والحضر  
ولا تتكريني إنني غير منكر  
إذا زلست الأقدام واستنزل النصر

وإنني لنزال بكل مخوفة  
كثير إلى نزالها النظر الشزُرُ  
وإنني لجرار لكل كتيبة  
معودة أن لا يخل بها النصرُ  
فأظماً حتى ترتوي البيض والقنا  
وأسغب حتى يشبع الذئب والنسرُ  
ويا رب دار لم تخفني منيعة  
طلعت عليها بالردى أنا والفجرُ  
وحي رددت الخيل حتى ملكته  
هزيماً ورددتني البراقع والخمرُ  
وساحبة الأذيال نحوي لقيتها  
فلم يلقها جافي اللقاء ولا وعرُ  
وهبت لها ما حازه الجيش كله  
ورحت ولم يكشف لأبياتها سترُ  
ولا راح يطغيني بأثوابه الغنى  
ولا بات يثيني عن الكرم الفقرُ  
وما حاجتي بالمال أبغي وفوره  
إذا لم أقر عرضي فلا وفر الوفرُ  
أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى  
ولا فرسي مهر ولا ربه غمرُ  
ولكن إذا حم القضاء على الردى  
فليس له برُّ يقيه ولا بحر

وقال أصيحابي الفرار أو الردى  
فقلت هما أمران أحلاهما مر  
ولكنني أمضي لما لا يعينني  
وحسبك من أمرين خيرهما الأسر  
يقولون لي بعث السلامة بالردى  
فقلت أما والله ما نالني خسر  
وهل يتجافى عني الموت ساعة  
إذا ما تجافى عني الأسر والضر  
هو الموت فاختر ما علا لك ذكره  
فلم يمت الإنسان ما حيى التكر  
سيذكرني قومي إذا جد جدهم  
" وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر "  
ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به  
وما كان يغلو التبر لو غلى الصفر  
فإن عشت فالطعن الذي يعرفونه  
وتلك القنسا والبيض والضمير الشقر  
وإن مت فالإنسان لا بد ميت  
وإن طالبت الأيام وانفسح العمر  
ونحن أناس لا توسط بيننا  
ننا الصدر دون العالمين أو القبر  
تهون علينا في المعالي نفوسنا  
ومن يخطب الحسنة لم يغلبها المهر

أعز بنى الدنيا وأعلى ذوى العلا

وأكرم من فوق التراب ولا فخر

**هنا يمتد الشاعر على المفارقة الغوية ليرز من خلالها موقفين**

**متناقضين** : موقفه ونصرفه كفارس فيه سمات الفارس ولباعه ، بين موقف محبوبته المتعالية المنكرة وجوده ، ومع ذلك يحاورها في هدوء بروح المحب المخلص في حبه .

وتبدأ المفارقة بسؤال المحبوبة أبا فراس الشاعر الفارس تقول له : إنك عصي الدمع ، وإن الهوى والعشق ليس لهما تأثير عليك لا بالأمر ولا بالنهي ، ويأتي جواب شاعرنا في هدوء دون انفعال مبينا لها حقيقة لا تعلمها ، وهي أنه برح به الشوق وفي قلبه لوعة منه ، ولكن لأنه فارس فلا يظهر تأثيره وضعفه فهو مشتاق وعنده حرقه في القلب . لكن مثله لا يفشى له سر .

وتعود نصالته في غرور وجاهل واصف : من أنت ؟ والشاعر يؤكد أنها تعلمه جيدا وتعرف مكانه ، لأنه الفارس الذي لا يشق له غبار ، حتى أنه يعرفه القاصي والداني ، وعلى ذلك يجيب عن تساؤلها في تواضع وحب شديد : أنا قتيلك . فيزداد بها الغرور وتعلق قائلة : أي قتيل أنت فقتلاي كثيرون ؟ ويرد في هدوء : لا داعي لهذا التعنت والادعاء والتجاهل المقصود ، فأنت تعلمين حقيقة أمري .

ولأنه فارس يأبى الضيم والمذلة يبين أنه كان وفيا ( مع أن الوفاء يكون مدلة في بعض الأحيان ) لفتاة تتسم بالغرور .

وفي غمرة ما عقد من مفارقة لغوية بينه وبين محبوبته المغرورة المتحائلة يتحدث عن أمرين :

- الأسر الذي وقع فيه ، وأنه لم يكن صعباً ولا عاجزاً ، وغنما هو قدر مقدر له  
وأن الأسر لم ينقص من فروسيته وقدره شيئاً ، فقد أوقعته الظروف بين  
خيارين كلاهما مر : الموت أو الأسر .

- الأمر الثاني فخره بنفسه ويقومه في الجزء الأخير من النص .

### في شعر أبي العلاء المصري

أبو العلاء المعري رهين المحبسين ، عاش حياة شاقة حافلة بالمعاناة والتعب  
حتى أن آفة عدم الإبصار ألزمته داره ، وأبعدته عن المجتمع من حوله ، وقد عبر عن  
ذلك بقوله :

أراني في الثلاثة من سجونى

فلا تسأل عن النبأ الخبيث

لفقدى ناظري ولزوم بيتي

وكون النفس في الجسم الخبيث

لذلك كانت السخرية سلاحه في مواجهة تحديات وصعوبات الحياة ، كما

كان التأمل سلاحاً آخر في مواجهة معتك الحياة .

كثيرون قبل أبي العلاء اتخذوا من السخرية سلاحاً ودرعاً واقياً ، فمن قبله

سخر سقراط من قاتليه وهو يتجرع السم وسط رجاء تلاميذه أن يتراجع عن آرائه

وبكائهم حزناً على فقده .

كما سخر أحد رجال لثورة الفرنسية من قاتليه قبيل إطلاق الرصاص عليه

فأثلاً : "رصاصاً واحدة تكفيني دع الباقي لبريء آخر" مما أضحك الحاضرين وأثار

حقد قاتليه .

ويرى كثيرون أن السخرية سلاح يحمي الروح من ضعفها حينما تمر بها لحظات الضعف أو عندما تتعرض لرياح عاتبة في معترك الحياة ، فحين تصبح الألام هائلة تبسّم النفوس الكبيرة لتقضي على فلول الأسي ، ثم تحيل الابتسامة إلى سخرية وتهكم مما تلاقي من متاعب وصعوبات .

ومع سخرية المعري بالحياة ومحتنها الدائمة فقد تحلى بالحكمة ، وأعلن إيمانه بالعقل وثقته المطلقة فيه متخذاً منه دليلاً وهادياً وإماماً :

كذب الظن لا إمام سوى

العقل مشيراً في صبحه والمساء

استمع إليه في تأملاته في الحياة والموت وهو يسوي على سبيل المفارقة

اللغوية بين الموت والحياة ، وبين صوت البشير وصوت النعي ، وبين بكاء الحمامة وغنائها في قوله :

غير مجد في ملتي واعـتقادي

نـسـوح بـالك ولا تـرنـم شـناد

وشبيهه صوت النعي إذا قيس

بصوت البشير في كل ناد

أبكت تلكم الحمامة أم غـمنت

على فرع غصنها المـيـاد

صاح هذي قبورنا تملأ الرحب

فأين القبور من عهـد عـاد؟

خفف الوطء ما أظن أديم الـ

أرض إلا من هـذه الأـجـساد

سر إن اسطعت في الهواء رويدا  
لا اختبأ الا على رفات العباد  
رُب لحدٍ قد صار لحدًا مرارا  
ضاحكٍ من تراحم الأضداد  
ودفينٍ على بقايا دفين  
في طويل الأزمان والآباد  
تعبًا كلها الحياة فما أعجب  
إلا من راغبٍ في ازدياد  
إن حزنًا في ساعة الموت  
أضعاف سرورٍ في ساعة الميلاد  
الموت نقبض الحياة ، والغناء نقبض البكاء ، وصوت النعي غير صوت البشير  
أما حين يسوي المعري بينهما فتلك هي المفارقة اللغوية .

### وأي رسالة النفران ؟

وهي رسالة كتبها ليسقط عليها انطباعاته عن المجتمع ، وما يؤرق باله ممن  
حوله وما حوله من بشر وأشياء .

❖ فهو يسخر من المتبجحين ومن الواسحة التي ترفع غير المستحقين  
إلى أماكن لا يستحقونها .

❖ وسخر كذلك من أدعياء الشعر والضعفاء الذين قالوا ما لا قيمة له ومثل  
لهم بالرجاز ولعلمهم الذين اختاروا بحر الرجز لقصائدهم ويسخر من أحدهم  
بقوله:

هذا أبو القاسم أعجوبة      لكل من يدري ولا يدري

لا ينظم الشعر ولا يحفظ الـ \_\_\_\_\_ قرآن وهو الشاعر المُقري  
❖ ويسخر المعري من طريقة بعض الرواة في الرواية لنصوص الشعر طارحاً في الوقت ذاته الطريقة التي يراها مناسبة .

❖ ثم يسخر من الجهل والتقليد، فهو يرى أن الجهل قد ساد بين الناس لدرجة صاروا معها يقلنون ما ترفضه العقول ، بقول هاخراً :  
لقد صدق الناس ما الألباب تبطله

حتى لظنوا عجوزاً تحلب القمر  
❖ يسخر شاعرنا من شعراء التكسب ويبين أنه إذا انتشر شعر التكسب بين الناس فإن الشعر الحقيقي يفنى ولا يجد له سوقاً بين الناس، بقول:

تكسب الناس بالأجساد فامتهنوا  
أرواحهم بالرزايا في الصناعات  
وحاولوا الرزق بالأفواه فاجتهدوا  
فني جذب نفع بنظم أو سجاجات  
وعن صناعة الأدب . الإبداع . يربأ بها المعري أن تنزل إلى السوق فتعرض للبيع للطغاة والأغنياء، وذلك في حوار تخيله بين إبليس وأديب حلبي بقول  
إبليس:

من الرجل؟

بقول: أنا فلان بن فلان من أهل حلب، كانت صناعتي الأدب أتقرب به

إلى الملوك .

فبقول إبليس:

"بئس الصناعة إنها تهب رغيقاً من العيش لا يتسع بها العيال وإنما لمزلة

بالقدم".

كما يسخر المعري من النحاة واللغويين الذين عقدوا مسالك النحو وأحاليه إلى طلاسّم والغاز بعد أن كان مع الأوائل من النحويين - أبي الأسيد الدؤلي والخليل بن أحمد - صافياً ، حيث لم يكن فيه تكلف أو تصنع ، ولكنه صار صعباً على يد الأخفش والكسائي والقراء وأمثالهم الذين عقد لهم في رسالة الغفران مجالس ساخرة .

وواضح أن السخرية في شعر المعري تستند إلى آلية المفارقة اللغوية التي تجعل العلاقة بين المعنى المباشر وغير المباشر علاقة قائمة على التقابل الدلالي بين ما هو مباشر وغير مباشر .

## أبي زيبيدوني :

يقول في الرسالة الجديدة :

يا مولاي وسيدي ، الذي ودادي له ، ومن أبقاه الله تعالى ماضيَ حدِّ العزم  
واري زناد الأمل ، ثابتَ عهدِ النعمة ، أظلماتني إلى برودِ إسعافك ، ونفضت بي كفه  
حباطتكَ ، وغضضت عني طرفَ حمايتك ، بعد أن نظرت الأعمى إلى تأميلي لك  
وسمِع الأصمُّ ثنائي عليك ، وأحسن الجماد بإستنادي إليك ، فلا غرو : قد يغصُّ  
بالماءِ شاربهُ ، ويقتلُ الدواءَ المستشفيَ به ، ويُوتى الحذرُ من مأمنه ، وتكون منيةُ  
المتني في أمنيته والحين قد يسبقُ جهدَ الحريصِ :

كل المصائبِ قد تمرُّ على الفتى

وتهمونُ غيرَ شماتةِ الحسادِ

وإني لأتجلدُ وأري الشامتينَ أني لريبِ الدهرِ لا أتضعضُ ، فأقول :

هل أنا إلا يد أدامها سوارها ، وجبينٌ عرَّضَ به إكليله ، ومشرقي الصقَّة  
بالأرضِ صاقلةُ ، وسمهري عرَّضَه على النارِ مثقفهُ ، وعبدٌ ذهب به سيده مذهب  
الذي يقول :

فقساً ليزجروا ومن يك حازماً

فليقسُ أحياناً على من يرحمُ

هذا العتبُ محمودٌ عواقبه ، وهذه النبوةُ غمرةٌ ثم تنجلي ، وهذه النكبةُ  
سحابةٌ صيفٍ عن قريبٍ تُشع ، ولن يريبي من سيدي أن أبطأ سحابه ، أو تأخر -  
غيرِ ضنين - غناؤه ، فأبطأ الدلاءُ فيضاً أملؤها ، وأثقل السحابُ مشياً أحفلها ،

وأنتفع الحيا ما صادف جدبا ، وألذُّ الشُّرابِ ما أصابَ غليلاً ، ومع اليوم غدٌ ، ولكل  
أجلٍ كتاب ، له الحمد على اغتنامه ولا عتب عليه في إغفاله .

فإن يكنِ الفعلُ الذي ساءَ واحداً  
فأفعاله اللاتي سَرَزْنَ الوُوفُ

في هذه الرسالة الجديدة تبدو المفارقة اللغوية في حديث ابن زيدون مع  
سيده ، وإبراز تغافله عنه في قوله :

( وغضضت عني طرفَ حمايتك ، بعد أن نظرت الأعمى إلى تأميلي لك  
وسَمِعَ الأصمُّ ثنائِيَّ عليك ) فقد مدح سيده مدحا موفورا بارزا عمق مفهومه من  
خلال المطابقة بين : نظر ، وتأمل ، وبين : سمع ، والأصم ، حتى جعل الأعمى  
يتامله ، والأصم يسمعه ، ومع هذا الثناء الملموس فقد غض سيده الطرف عنه .

ولكن ابن زيدون بعد هذا التفاضلِ بداهة حم لأن :

( أبطأ الدلاء فيضاً أملؤها ، وأثقل السحائب مشياً أحفلها ، وأنتفع الحيا  
ما صادف جدبا ، وألذُّ الشُّرابِ ما أصابَ غليلاً ، ومع اليوم غدٌ ، ولكل أجلٍ  
كتاب ) .

والمفارقة بادية في مخالفة المنطق وما هو معهود ، فمعلوم أن البطء دليل  
الضعف والتخاذل ، لكنه خالف ذلك فجعل البطء مصاحباً للفيض والثراء ( أبطأ  
الدلاء فيضاً أملؤها ) .

كما خالف المنطق في قوله : ( أثقل السحائب مشياً أحفلها ) ؛ إذ جعل  
ثقل السحائب مصحوباً بالامتلاء والخير والرغد .

ثم المفارقة التي مبعثها الطباقي بين : الحيا والجذب ، وبين اليوم والغد  
وبني البيت الشعري بين ساء وسر .

### المعتمد بن عباد

أبو الفاهم المعتمد على الله بن عباد (وكذلك لقبه بالظافر والمؤبد)  
هو ثالث وآخر ملوك بني عباد في الأندلس، وابن أبي عمرو المعتضد حاكم إشبيلية،  
كان ملكاً لإشبيلية وقرطبة في عصر ملوك الطوائف قبل أن يقضي على إمارته  
المرابطون. ولد في باجة (إقليم في البرتغال حالياً)، وخلف والده في حكم إشبيلية  
عندما كان في الثلاثين من عمره، ثم وسّع ملكه فاستولى على بلنسية ومرسية  
وقرطبة، وأصبح من أقوى ملوك الطوائف فأخذ الأمراء الآخرون يجلبون إليه  
الهدايا ويدفعون له الضرائب.

اهتم المعتمد بن عباد كثيراً بالشعر، وكان يقضي الكثير من وقته بمجالسة  
الشعراء، فظهر في عهده شعراء معروفون مثل أبي بكر بن عمّار وابن زيدون وابن  
اللبانة وغيرهم. وقد ازدهرت إشبيلية في عهده، فعُمرت وشيدت. وفي خلال فترة  
حكم المعتمد حاول ألفونسو السادس ملك قشتالة مهاجمة مملكته، فاستعان بحاكم  
المرابطين يوسف بن تاشفين، وخاض معه معركة الزلاقة التي هزمت بها الجيوش  
القشتالية. لكن في عام ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) شنّ يوسف بن تاشفين حرباً على المعتمد  
فحاصر أشبيلية، وتمكّن من الاستيلاء عليها وأسر المعتمد، ونفاه إلى مدينة أغمات  
في المغرب حيث توفيّ أسيراً بعد ذلك بأربع سنوات. رغم ذلك، فقد أثار إسقاط  
يوسف بن تاشفين لإمارة بني عباد الكثير من الجدل بين المؤرّخين قديماً وحديثاً  
ووجّهت انتقادات كثيرة له لما فعله بالمعتمد.<sup>1</sup>

وفُبل: إنَّ بنات المعتمد دخلن عليه السَّجَنَ في يوم عيدٍ، وَكُنَّ يَغزِلن للنَّاسِ  
 بالأجرة في أغمات، فَرَاهنَّ في أطمارِ رثَّةٍ، فَصَدَعْنَ قلبه، فقال:  
 فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرورًا  
 فسأعك العيدُ في أغماتِ مأسورا  
 ترى بنايكِ في الأطمارِ جائعَةً  
 يغزلن للنَّاسِ لا يملكن قطميرا  
 بززنَ نحوك للتَّسليمِ خاشعَةً  
 أبصارُ ذنِّ حسيراتِ مكَّاسِيرا  
 يطَّانَ في الطَّينِ والأقْدَامِ حافيةً  
 كأنَّها لم تَطَّأ مِنسًا وكافورا  
 من بات بعدك في ملكٍ يُسرُّ به  
 فإنَّما بات بالأحلامِ مغرورا

في هذا النص يفارق الشاعر بين حالين مر بهما : حاله في اليسر، وحاله  
 في العسر فقد كانت تسره الأعياد . ولكن بعد أسره تبدل الحال .  
 كما تبدو المفارقة في إبراز الشاعر حال بناته بعد أسره وما يلاقينه من تعب  
 ونصب وضيق حال ، حتى صرن يغزلن الثياب للناس ، ويقارن بين حالهن وهن  
 يطَّان أقدامهن في الطين يسرن عليه ، وهي الأقدام التي كانت تطأ الكافور والمسك  
 أيام العز والسُّلطان في خلافة أبيهم .

## وللمتعمد وقتك أحيط به :

لَمَّا تَمَاسَكَتِ الدَّمُوعُ  
قَالُوا: الخَضُوعُ سِيَاسَةٌ  
وَأَلْذَمَنَ طَعْمَ الخَضُوعِ  
إِنَّ تَسْتَلِيبَ عَنِّي الدُّنَا  
فَالْقَلْبُ بَيْنَ ضَلُوعِهِ  
قَدْ رُمْتُ يَوْمَ نَزَلِ الْهَمُّ  
وَبَرَزَتْ لَيْسَ سِوَى الْقَمِيءِ  
أَجَلِي تَأَخَّرَ، لَمْ يَكُنْ  
مَا سَرَتْ قَطَّ إِلَى الْقَتَا  
شِيْمُ الْأَوْلَى أَنَا مِنْهُمْ

وَتَنَهَّضَةُ الْقَلْبِ الصَّنَدِيعُ  
فَلْيَبْدُ مِنْكَ لَهُمْ خَضُوعُ  
عَ عَلَى فَمِى السَّمُّ النَّقِيعُ  
مَتَكِي وَتُسَلِّمُنِي الْجُمُوعُ  
لَمْ تُسَلِّمِ الْقَلْبَ الضُّلُوعُ  
أَنْ لَا تَحْصُنْتَنِي الدُّرُوعُ  
صِرَ عَنِ الْحَشَى شَيْءَ تَقُوعُ  
بِهِوَائِي نَلِّي وَالْخَشُوعُ  
لِ وَكَانَ فِي أَمَلِي رَجُوعُ  
وَالْأَصْلَ تَتَّبِعُهُ الْفِرُوعُ

بِقَارْنِ فِي مَفَارِقَةِ طَبِيعَةِ بَيْنَ مَا يَقُولُ النَّاسُ - وَهُمْ مَخْطِئُونَ - ، وَبَيْنَ مَا يَعْتَقِدُ فِيهِ  
وَهُوَ الصَّوَابُ ، فَالنَّاسُ يَقُولُونَ : ( الخَضُوعُ سِيَاسَةٌ ) طَالِبِينَ مِنْهُ أَنْ يَخْضَعُ وَيَخْنَعُ  
وَهُوَ يَرَى أَنَّ السَّمَّ أَهْوَنُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ السَّمِّ النَّقِيعِ .

ثُمَّ يَبِينُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوهُ وَتَخَلَّوْا عَنْهُ وَتَرَكُوهُ وَحِيدًا يُوَاجِهُ مَصِيرَهُ ، وَمَعَ  
ذَلِكَ فَهُوَ مَتَمَاسِكٌ قَلْبُهُ مَا يَزَالُ نَابِضًا لَمْ تَسْلَمْهُ الضُّلُوعُ ، وَفِي مَفَارِقَةِ جَبِيلَةَ يَبْرُزُهَا  
الطَّبَاقُ بَيْنَ الْأَصْلِ وَالْفُرُوعِ حِينَ يَبِينُ أَنَّ هَذِهِ شِيْمَتُهُ الَّتِي وَرِثَهَا عَنْ أَجْدَادِهِ وَهُمْ  
الْأَصُولُ .